شناشيل

▪ عدنان حسين
adnan.h@almadapaper.net

نازيّة تركية في عفرين

ما كان متوقعاً أن تتصرّف القوات التركية التي غزت مدينة عفرين الكردية السورية تصرّفاً آخر غير القتل والتدمير والتمثيل بجثث الضحايا، فتركيا تقودها الآن حكومة طورانية يريد الواقف على رأسها، الرئيس رجب طيب اردوغان، استعادة "أمجاد" أسلافه أبطال مجازر الأرمن وسواهم.

بعد ستة عقود من سياسة شوفينية مارستها الحكومات التركية المتعاقبة بعد انهيار الدولة العثمانية، وجد توركوت أوزال الذي تولّى رئاسة الحكومة (١٩٨٣- ١٩٨٩)، ثم رئاسة الجمهورية (١٩٨٩- ١٩٩٣) عن حزب "الوطن الأم"، أن سياسات أسلافه لم تجلب الخير والاستقرار لبلاده فدشّن مرحلة للانفتاح على سائر القوميات، وبخاصة الكرد الذين كانوا المشكلة الكبرى لتركيا بسبب التنكر لحقوقهم وانتهاج سياسات قمعية سافرة في حقهم حرمت عليهم حتى الغناء بلغتهم.

أوزال وضع أساساً راح خلفاؤه يبنون عليه وإنْ بوتيرة بطيئة.

وكان حزب العدالة والتنمية أحد هؤلاء الخلفاء، وبخاصة في عهد رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية السابق عبد الله غل، بيد أن خليفة غل، أردوغان، الذي أعطى لنفسه في النهاية سلطات شبه مطلقة وراح يدير الحكم على طريقة السلاطين العثمانيين ويعيش حياتهم الباذخة، استدار بتركيا في اتّجاه مخالف.

لم يجد أوردوغان، منذ خمس سنوات، بأساً في فتح حدود تركيا أمام تنظيم داعش، فقد تحوّلت تركيا الى ممر ومستقر لعشرات الآلاف من عناصر هذا التنظيم الارهابي الذين كانوا يتصرفون كما لو أن تركيا الاردوغانية صارت المقر الرسمي لخلافتهم وقاعدتها الأساس.

أردوغان يعرف ما يريد.. انه يحلم باستعادة أيام السلطنة وبترسيمه سلطانياً عثمانياً، فكان أن تمدّد عسكرياً باتجاه العراق وسوريا، بل إنه يقوم الآن بعملية غزو منهجية لأراض سورية، بذريعة مكافحة الارهاب الذي رعاه وقدّم له التسهيلات اللوجستية على مدى سنوات. وقد توجّه الآن لتصفية الحساب مع كرد سوريا الذين أقاموا سلطتهم الذاتية على أرضهم وداخل حدود بلادهم.

قوات أردوغان، كما قوات السلطنة العثمانية، لم تتورع عن البطش بالكرد السوريين، بمن فيهم السكان المدنيون، وقيام هذه القوات الغازية أخيراً بنشر شريط فيدو لعملية تمثيل بجثة إحدى المقاتلات الكرديات هي رسالة تخويف على الطريقة النازيّة وعلى طريقة داعش أيضاً، التظيم الذي ما كان له أن يكون بكامل السطوة التي ظهر بها في العراق وسوريا لولا موقف أردوغان المتواطئ معه.

داخل تركيا، فبرك أردوغان صيف العام ٢٠١٦، قصة الانقلاب العسكري الفاشل لإزاحة كل المخالفين والمنافسين والمعترضين على سياساته عن طريقه، وها هو الآن يفبرك "مكافحة الارهاب" في الخارج كيما يمهّد لاجتياح الجيران وقضم أراضيهم تدريجياً.. على الطريقة النازيّة أيضاً.

سكان المخيمات عانوا من الأمطار وحرارة الصيف.. ولم تغيثهم الأدوية الشحيحة

مرحلة داعش والتحرير.. 6 ملايين نازح في عموم العراق

□ بغداد/ وائل نعمة

كانت الصور التي انتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي مفزعة عندما اجتاح تنظيم داعش العديد من المدن العراقية في صيف ٢٠١٤.

وربما لم تكن المرة الأولى التي يرى فيها العراقيون سكان يفرون من مناطق القتال، فقد شهدت حرب الثمانينيات حالات هروب من جنوبي العراق، إلا انها لم تكن بهذا الحجم.

وقبل نهاية عام ٢٠١٣، كانت الحكومة برئاسة نوري المالكي، قد اتخذت قراراً بفض ما عرف حينها بـ"منصات الاعتصام" في الرمادي بعد أشهر من الاحتجاجات ضد سياسية الأخير.

وفي مشهد يشبه أفلام هوليود، دمر الجيش خيام المعتصمين، ثم قرر الانسحاب بشكل مفاجئ لتسقط مدينة الفلوجة بيد المسلحين والتي كانت أيضاً أحدى معاقل الاحتجاجات.

في ذلك اليوم رأى العراقيون لأول مرة من على شاشات التلفزيون والمواقع الالكترونية عناصر داعش.

الصور الذي نقلت كانت فقط توثق انتشار المسلحين، لكن بعد أيام قليلة بدأت موجات بشرية تخرج من الفلوجة هرباً من القتال بين الجيش وداعش.

وأظهرت الصور التي نشرت في ذلك الوقت، الأطفال تجرهم أمهاتهم وهم حفاة. وحملت النساء وكبار السن ما استطاعوا من الأغطية – لم يكن أهل الفلوجة يعرفون إن هذا السيناريو سيتكرر مرة أخرى بعد عام ونصف.

وبعد شهر من العمليات العسكرية في الفلوجة، وصل عدد النازحين الى ١٤٠ ألف شخص. واتجه الفارون من الحرب الى القائم، وعانة، وراوة، وهيت التي سقطت بيد التنظيم بعد ذلك بـ٥ أشهر.

كما اتجه آخرون الى إقليم كردستان وبغداد وكربلاء، فيما فتح الأهالي في محافظة الأنبار بيوتهم للنازحين وملئت المدارس ورياض الأطفال بالنازحين.

وبقيت مشاهد النزوح وما بعدها من صور مأساوية في مراكز الإيواء والمخيمات التي غرقت بالأمطار وتعصف بها الرياح شتاءً وحرارة الصيف صيفاً، مسيطرة على الأخبار وآراء العراقيين على مواقع التواصل الاجتماعي.

وعم في ذلك الوقت جدل كبير عن السبب الرئيس لما آلت إليه أوضاع تلك العوائل، وتقصير الحكومة وسياسيي الأنبار، قبل أن يفاجأ الجميع بخبر سقوط الموصل.

وخلال يومين احتل داعش اغلب مدن نينوى، الانبار، صلاح الدين، ديالى، والحويجة جنوب غرب كركوك، فضلاً عن جرف الصخر جنوب بغداد، والذي تغير اسمها بعد ذلك الى "النصر" عقب تحريرها في تشرين الأول من نفس العام.

واستمر زحف التنظيم المتطرّف الذي بدأ في ١٠ حزيران ٢٠١٤، الى جنوب الرمادي ووصل الى أسوار بغداد، وقتذاك أعلنت مرجعية النجف فتواها الشهيرة بـ"الجهاد الكفائي"، والتي جمعت أكبر عدد من المتطوعين المدنيين، والذين أطلق عليهم بعد ذلك بـ"الحشد الشعبي".

وبحلول نهاية ٢٠١٤، كان قد قفز عدد النازحين الى أكثر من ٢ مليون شخص، بعدما انضم إليهم نحو نصف مليون نازح من سنجار، أغلبهم من الأيزيديين، الذين هربوا بعد احتلال داعش للمدينة في آب من العام ذاته.

أزمة حقيقية

واجه العراق في ذلك الوقت أزمة إنسانية حقيقية، حيث بدأت أسعار النفط بالتراجع. وفي ايلول من العام نفسه تسلم حيدر العبادي الحكم. إذ تعهد في وقتها باستعادة المدن المحتلة.

وقبل أن ينتهي ٢٠١٤، كان قد تم تحرير ناحية "آمرلي"، في شرق تكريت، حيث استعادت قوات الحشد والجيش المدينة التركمانية في آب من العام نفسه بعد ٧٠ يوماً من محاصرة داعش لها.

وعلى الرغم من أن اغلب السكان لم يغادروا، إلا أن استمرار عمليات التحرير للقرى المحيطة بالناحية، واستعادة ناحية "سليمان بيك" القريبة، والتي شهدت نزوح أكثر من ١٠ آلاف مدني، لم يعودوا الى مناطقهم حتى قبل شهر كانون الثاني ٢٠١٨.

وكشف رشيد كريم، رئيس المجلس المحلي في سليمان بيك لـ(المدى) إنه "في عام ٢٠١٦، وضع ١٨ شرطاً من قبل قوات بدر التي حررت المدينة واستلمت مهمة حمايتها مقابل عودة السكان".

وأضاف كريم، إن "أبرز تلك الاشتراطات هو أن تتعهد العشائر بعدم حدوث أي خرق أمني في البلدة بعد عودة الأهالي"، لكنه يؤكد أن هذه "شروط صعبة التحقيق ولا أحد يتورط بالموافقة عليها".

وبقي سكان سليمان بيك يسكنون على سفح جبل مطل على منازلهم، لكنهم لم يستطيعوا النزول لأكثر من ٣ سنوات. وفي ٢٢ كانون الثاني الماضي عادت أول وجبه تضم ألف نازح.

وفي تشرين الاول ٢٠١٤، تم تحرير جرف الصخر، الذي فر منه نحو ٢٠٠ ألف شخص من القضاء وما حوله. ورغم مرور أكثر من ٣ سنوات الآن على تحريرها ألا أنها لم تشهد عودة أي شخص لأسباب تقول عنها السلطات المحلية بأنها متعلقة بالوضع الأمني، فيما يتهم نواب سُنة بعض المسؤولين هناك بمحاولة إحداث تغيير سكاني.

كما كان قد فجر النائب كامل الغريري مفاجأة حين كشف عن تلاعب يجري في الأراضي الزراعية بالقضاء، لغرض تسجيلها بأسماء آخرين غير أصحابها الأصليين لمنعهم من العودة. وتعرضت المدينة الى خراب كبير في المنازل والبنى التحتية ما وضع عراقيل إضافية أمام أي عودة محتملة للسكان.

وفي العام نفسه أكد تقرير للأمم المتحدة إن السلطات المحلية غير قادرة على الاستجابة للخدمات الإنسانية الأساسية المتزايدة للنازحين. وأضاف التقرير إن النازحين يحصلون فقط على المعلومات الناقصة والمتضاربة فيما يتعلق بتوفير الخدمات الأساسية ما خلق ارتباكاً وعزلة وعدم الثقة.

وفي بداية ٢٠١٥، أعلنت ديالى محافظة خالية من داعش. ولم تكن عمليات التحرير واضحة بذلك الوقت، وأغلبها كانت بقيادة الحشد، إذ كان الجيش يعيد ترميم نفسه بعد الانتكاسة التي حصلت له بعد سقوط الموصل في ١٠ حزيران ٢٠١٤.

ووصل أعلى عدد لنازحي المحافظة بحسب إحصائيات وزارة الهجرة، الى أكثر من ٣٥٨ ألف شخص، عاد منهم أكثر من ١٨٧ فيما تبقى أكثر من ١٧٠ ألف. وبحسب وزارة الهجرة، يعني إن نسبة العودة الى ديالى كانت ٥٢٪ حتى منتصف كانون الثاني الماضي.

ويمنع الدمار الكبير الذي حصل في بعض مدن المحافظة، وخاصة في منازل المدنيين عودة باقي السكان. فهناك ٤ آلاف عائلة بيوتهم مدمرة بالكامل بالإضافة الى آلاف الدور الأخرى التي تعرضت الى نسب دمار متفاوتة.

ويؤكد المسؤولون هناك أن الحكومة لم تعوض المتضررين، في ظل وجود أزمة مياه وكهرباء في كثير من المناطق التي كانت تحت سيطرة داعش.

وكانت ناحية جلولاء الواقعة شرقي ديالى، واحدة من ٨ مدن اعلنت "منكوبة"، بمعنى أن نسبة الدمار قد تجاوز الـ٨٠٪، بحسب قرارات سابقة لمجلس النواب.

وخلال الفترة الممتدة بين تحرير المدينة وعودة نصف النازحين، كانت السلطات المحلية تقول إن هناك مناطق مازالت "غير نظيفة" من العبوات، ووجود بلدات فيها نشاط مسلح تعيق عودة النازحين.

وكان بعض المسؤولين عن مخيمات النزوح في شرقي ديالى، ذكروا إن "جماعات مسلحة تدعي انتماءها الى الحشد الشعبي" تمنع عودة هؤلاء النازحين إلى مناطقهم.

وأشار المسؤولون الى أن النازحين اشتكوا من التعرض لشتى أنواع الإهانة عند عودتهم الى مناطقهم، كما تعرض بعض العائدين للخطف والاعتقال.

بعد استعادة ديالى بـ٣ أشهر، أعلن رئيس الوزراء حيدر العبادي تحرير تكريت مركز محافظة صلاح الدين. وغادر في فترة سيطرة داعش على المدينة نحو ٦٠ ألف شخص، وهو تقريبا كل سكان تكريت.

وتعرضت في عملية التحرير ٥٠٪ من المباني الحكومية في المدينة والبنى التحتية الى الدمار. وساهمت نسبة الدمار المتوسطة مقارنة بمدن أخرى كانت تحت سيطرة داعش بعودة أغلب سكان تكريت، خصوصاً وان العشائر هناك أبرمت ميثاق شرف، سد الطريق أمام محاولات الثأر.

وبعد شهر واحد من تحرير المدينة، وصلت أول قافلة للنازحين، تحمل ٢٥٠ شخصاً، ثم عاد بعد ذلك السكان تباعاً. ولم يواجه النازحون في مركز صلاح الدين مشاكل صعبة أعاقت عودتهم، لكن هذه المشاكل ظهرت في مدن أخرى بالمحافظة ستظهر بعد تحريرها.

نزوح جديد

في تلك الأثناء كانت قد انسحبت القوات الأمنية من الرمادي بشكل مريب، وتحدث بعض شيوخ العشائر هناك بعد سقوط المدينة بيد داعش بعد عام ونصف من الصمود، عن "خيانة" حدثت على سواتر المواجهة.

تسبب سقوط المدينة بنزوح نحو أكثر من ١٠٠ ألف شخص باتجاه بغداد، حيث واجه الفارون واحد من أسوأ الظروف حين قررت السلطات إغلاق معبر بزيبز، وهو المنفذ الوحيد الذي يربط الرمادي بالعاصمة، لأسباب أمنية وخوف المحافظات من تسلسل مسلحي داعش مع النازحين.

ويأس معظم النازحين المتطلعين لدخول بغداد، وقرروا الذهاب الى عامرية الفلوجة الواقعة جنوب الرمادي.

واستقبلت الأخيرة، ٣٠٠ ألف نازح، وزاد الوضع سوءاً بعدما بدأ داعش بضرب خيم الإيواء بـ٤٠ هاون يومياً، في ظل شح كبير بالمخصصات والمواد الغذائية والأدوية.

أطفال نازحون في أحد مخيمات شمال الموصل..... أرشيف

ووصل الحال الى أن يكتب ناشط على مواقع التواصل الاجتماعي لطلب المساعدة الى نازح من الرمادي قال إنه "يأكل النباتات" مع ٢٠ شخصاً فقدوا معيلهم.

وعرض الناشط من الخالدية شرقي الرمادي، في "فيسبوك"، صورة مراسيم دفن طفل يبلغ من العمر خمسة أعوام، قال انه توفي بإحدى مخيمات النازحين قرب الفلوجة بفعل قلة الغذاء والدواء. وأشار الناشط الى أن والد الطفل لم يحضر لحظة دفنه، لأنه كان معتقلاً في سيطرة الرزازة.

وتحدث نواب أنباريون، في عام ٢٠١٥، عن اختفاء ١٢٠٠ نازح قرب سيطرة ناحية الرزازة، متهمين أحد فصائل الحشد الشعبي التي تتولى مسؤولية الأمن في المنطقة.

وقبل يومين من رأس سنة ٢٠١٦، أعلن رئيس الوزراء حيدر العبادي استعادة الرمادي من داعش. وكشفت عملية التحرير عن دمار كبير واعلنت المدينة منكوبة.

ودمر في الرمادي ٢٠ ألف منزل بشكل كامل، إلا أن النازحين عادوا بشكل تدريجي معتمدين على أموالهم الخاصة في إعمار البيوت.

وقال إبراهيم العوسج، القائمقام السابق للرمادي، لـ(المدى)، إنه "بعد ٩ أشهر من تحرير المدينة، عاد ٩٠٪ من السكان".

ورغم ذلك فقد انتهى عام ٢٠١٥ بوجود ٢ مليون و ٨٠٠ ألف نازح، بحسب الاحصائيات الحكومية والأمم المتحدة، حيث كانت العودة الى مدن صلاح الدين، ديالى، وجرف الصخر، متعثرة، فيما بقى مئات الآلاف من نازحي غرب الانبار، التي تحررت نهاية ٢٠١٧.

كما كانت قد تحررت بيجي، في ٢٠١٥، وأخفقت الحكومة في إعادة ٣٠٠ ألف مدني، بعدما تدخلت جهات إقليمية في الملف، بحسب نواب صلاح الدين، لكنها عادت في نهاية عام ٢٠١٧ لتعيد بعض السكان بشكل بطيء.

وبحسب آخر إحصائية لوزارة الهجرة صدرت مطلع العام الحالي، فإن هناك أكثر من ٧٣٢ ألف نازح من صلاح الدين، عاد منهم حتى الآن أكثر من ٦٨٢ ألفاً، ولم يتبقّ سوى ٥٠ ألف نازح.

وفي أيار ٢٠١٦، أطلقت بغداد عمليات تحرير الفلوجة، وسأل الجميع في ذلك الوقت كيف ستتمكن الحكومة من استيعاب ١٠٠ ألف نازح محتمل من المدنية، وهو عدد كل السكان هناك. وخرج في العملية التي استغرقت نحو شهر، أكثر من ٨٥ الف مدني، فيما كانت تقديرات تشير الى وجود نحو ١٠ آلاف مسلح بالداخل.

وبدأت بعد ذلك عمليات تحرير مناطق شمال الرمادي وغربها، (هيت والرطبة)، وبعض الجزر بين دجلة والفرات وصولاً الى حديثة التي لم يستطع داعش اختراقها.

ووصل عدد البيوت المدمرة في الأنبار الى ١٠٠ ألف، بينها ٢٥ ألف في الفلوجة لوحدها.

وبعد ٤ أشهر بدأت العوائل بالعودة الى الفلوجة.

وفي العام نفسه بدأت أكبر حملة عسكرية في العراق صوب الموصل في تشرين الأول.

وأغلق عام ٢٠١٦ على أكبر عدد من النازحين في السنوات الثلاثة بـ٤ ملايين و ٤٠٠ ألف نازح.

بعد أشهر من العمليات العسكرية، حصدت القيادة العسكرية ثمار المعارك، واستطاعت في آب ٢٠١٧ تحرير نينوى، فيما خلفت الأحداث أكثر من ٢,٥٦٩ مليون مدني نزحوا من نينوى، عاد أكثر من ٩٢٨ ألفاً الى مناطقهم الأصلية، وبقي أكثر من ٥٣٣ ألفاً بحسب إحصائيات وزارة الهجرة.

واستطاعت القوات في نهاية العام الماضي إعلان تحرير كل المدن العراقية من سيطرة التنظيم، فيما انتهى العام بوجود أكثر من ٥ ملايين و ٥٣١ ألف نازح عاد ٤٢٪ منهم.

وفي آخر إحصائية صدرت عن وزارة الهجرة في مطلع ٢٠١٨، كشفت إن عدد النازحين الكلي في العراق زاد عن أرقام العام الماضي بـ ٤٠٠ ألف، حيث برزت نهاية العام الماضي، تطورات أمنية جديدة أسفرت عن نزوح ١٠٠ ألف من كركوك وأعداد أخرى من طوزخرماتو.

وفي مطلع شباط الحالي أعلنت الوزارة عن إعادة مليوني ونصف المليون نازح الى مناطقهم المحررة، مبينة أن عمليات العودة مستمرة وبوتيرة عالية جداً.

نيران الخيام

وبين فترات النزوح والعودة، واجه السكان مصاعب عديدة، فقد شهد عام ٢٠١٧، ٣٩ حالة حريق في مخيمات الايواء، أسفرت عن ٩ قتلى ونحو ١٠٠ جريح، لاسباب عزاها البعض الى عمليات الفساد في صفقات تجهيز الخيام بسبب المادة السيئة المصنوعة منها واستخدام وسائل بدائية للتدفئة والطبخ والإنارة.

وقال رعد الدهلكي رئيس لجنة المرحلين في البرلمان، إن هناك ملفات كبيرة ومهمة جدا في عدد من المحافظات عليها شكوك وعلامات استفهام كثيرة.

وكانت مبالغ كبيرة خصصت سابقاً من الحكومة والمنظمات الدولية، لإغاثة النازحين، لا يعرف حجمها بالتحديد، قد أنفقت بشكل غير واضح.

وكشف ماجد شنكالي عضو لجنة المرحلين في البرلمان، العام الماضي، عن صرف ٢٢١ مليار دينار على ملف النازحين من ضمن أموال اكبر "لكن لم تتم تسوية أي من هذه المبالغ سواء بآلية صرفها أو الأبواب التي صرفت فيها".

وأكثر من مرة أكدت اللجنة إرسال ملفات فساد بخصوص النازحين الى هيئة النزاهة لكن لم يسمع أحد على نتائج ما حصل بعد ذلك.

وحتى وقت كشف الحقائق، يبقى أمام الحكومة، تحدي كبير في اعادة اكثر من ٣ ملايين نازح، وهو ما تبقى في المخيمات وخارج المدن، قبل إجراء الانتخابات في أيار المقبل، بحسب شروط أقرها البرلمان.

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

المدير العام
غادة العاملي

رئيس التحرير التنفيذي
عدنان حسين

نائب رئيس التحرير
علي حسين

مدير التحرير
مازن الزيدي

سكرتير التحرير الفني
ماجد الماجدي

المدير الفني
خالد خضير

جريدة سياسية يومية تصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

بغداد. شارع أبو نواس - محلة ١٠٢ - زقاق ١٣ بناء ١٤١
هاتف: ٧١٧٨٨٥٩ . ٧١٧٧٩٨٥

كردستان. أربيل. شارع برايتي
دمشق. شارع كرجية حداد
ص.ب:٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦
هاتف: ٢٣٢٢٧٥ - ٢٣٢٢٢٧٦

فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩
بيروت. الحمرا. شارع ليون
بناية منصور. الطابق الاول
تليفاكس: ٧٥٢٦١٦ . ٧٥٢٦١٧

التوزيع: وكالة المدى للتوزيع
مكاتبنا: بغداد/ كردستان/
دمشق/ بيروت/ القاهرة/
قبرص

AL - MADA
General Political Daily
Issued by : Al - Mada
Establishment for Mass
Media, culture & Art

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون